اللغة والذات

اللغة السليمة تبدأ في الروضة

سهيل العمري

بنيت التجربة على صعوبات الحديث باللغة الفصحى المعربة أو الفصحى المعيارية لكونها غير متداولة، ولكونها أيضاً لغة ثانية، حيث أن اللغة المحكية هي السائدة، وهي أيضاً لغة التفكير، وعندما يدخل الطفل المدرسة يبدأ بتعلّم لغة الكتاب، وعليه/ا اكتساب المعرفة واستخدام مهارات التفكير بلغة لم يتقنها بعد، ما يؤدي إلى ضعف معرفي عام لدى الطلاب، وقلة هم الذين يتغلّبون على هذه الإشكالية.

وتطرقت المداخلة إلى بعض إشكاليات اللغة الفصحى، وورد في هذا السياق إشكالية المبني للمجهول، فمع أن انتقال المفعول إلى موقع الفاعل لينوب عنه في حالة الفعل المبني للمجهول مثّل حلاً لمشكلة نحوية، إلا أنه تسبب في إشكالية خطيرة على مستوى المعنى، فمثلاً كيف يكون القتيل نائباً عن قاتله في جملة «قُتل طفل في المواجهات مع قوات الاحتلال»، أو كيف تكون الفتاة نائبة عن مغتصبها في جملة «اغتصبت فتاة أثناء عودتها من المدرسة». فبالنسبة للأطفال دلالة المعنى مهمة جداً، وهذه الإشكاليات تبعد الأطفال عن لغتهم.

وبالمقابل، تطرقت المداخلة إلى كيف أن أغاني «الراب» و«الهيب هوب»، وبغض النظر عن موقفنا منها، قد قربت أطفالنا من قضاياهم الوطنية والاجتماعية، فإذا لم نتمكن من التواصل مع أطفالنا، فتلك هي مشكلتنا وليس مشكلتهم، فهل لدينا الجرأة كي نعلم اللغة العربية من خلال الأغاني التي تعتمد على القصائد الشعرية لنزار قباني وغيره! ومن خلالها نتعامل مع الإعراب والبلاغة والتورية . . . الخ.

اللغة في لفظها العام تعني وسيلة اتصال يتم التعبير بها عن المشاعر

على أنواعها، أو نقل الأفكار والتواصل مع الآخرين لتنظيم الحياة أو التخطيط أو المشاركة. أما المعنى الخاص للغة فإنه الكلام؛ سواء أكان شفوياً أم كتابياً. تحمل الموروث الحضاري والفكري بكل أبعاده ومعطياته الثقافية والعاطفية والمعتقدات والطموحات الكبيرة والهموم اليومية الصغيرة، وبذلك فهي ترتبط بالهوية.

ازدواجية اللغة (diglossia) هي ظاهرة منتشرة في معظم اللغات الإنسانية، وبشكل خاص في اللغة العربية، فقد حافظت اللغة العربية الفصحى على قواعدها وأسسها، بينما تطورت وتنوعت لهجات عامية وأصبحت هي اللغة الأم. ما أفضى إلى أزمة مستوياتها ما يلي:

- أزمة على مستوى الفكر العربي المعاصر.
- أزمة في امتلاك الأطفال/ الطلاب للغة الفصحى.
- أزمة في مفهوم الذات والهُوية اللغوية والانتماء.
- اللغة/ اللهجات العامية أصبحت تكتب وتقرأ، وتداولها أصبح شائعاً، وبخاصة بين الأطفال والشباب والشابات في مواقع الإنترنت والرسائل القصيرة على الهاتف الخليوي (sms).

أهمية المشروع

بني المشروع من منطلق أهمية تدريب الأطفال على سماع الفصحى واستعمالها، حيث في المرحلة السليقية يسهل اكتساب اللغة الفصحى، ويستطيع الطفل استيعاب الفصحى وفهمها في جيل الثانية، ولكنها تكون غير منظمة. ويمكنه/ ا تداولها ابتداءً من السنة الثالثة بوجود مثيرات مناسبة ووسيط ملم وواع يحفزّه ويتحاور معه/ ا، ومن خلال اللعب والتفاعل في البيئة الطبيعية من خلال الميول ومجالات الاهتمام.

خلفية التجربة

بمبادرة من المرحوم صالح برانسي مدير مركز إحياء التراث في الطيبة/ المثلث، تم عقد دورة في لندن العام 1992 بمشاركة حوالي 20 مربية من دول عربية عدة ومن الداخل الفلسطيني، للتدرّب على النهج الذي مارسه د. عبد الله الدنّان مع أطفاله، حيث تواصل معهم بالفصحى منذ جيل الثانية (المرحلة السليقية)، وكان امتلاكهم للغة ملفتاً للنظر. واستخدم هذا النهج في حضانة جمعية النساء العكيات لسنوات طويلة، وأصبح يعرف بطريقة دار الطفل العربي، وهو المركز التربوي لجمعية النساء العكيات. واتضح أن هذا النهج فعّال ونتائجه ملفتة للنظر، وذلك من خلال ردود فعل المربين/ ات في المدرسة والأهالي.

وأفضى المشروع إلى تطوير موارد تربوية، حيث قام مركز دار الطفل العربي في الجمعية بعقد دورتين لمربيات الروضات للتدريب على التجربة وتطبيقها وتوثيقها وإصدارها في كتاب يحمل اسم «اللغة والذات: اللغة السليمة تبدأ في الروضة».

ميزات التجربة

الخلفية النظرية والتجربة العملية

ما يميز عملنا هو أننا جمعنا بين النظرية والتطبيق بشكل جيد، حيث بلورنا الخلفية النظرية العلمية للعمل، وهذا أمر لا بد منه في أي عمل

مهني، فحين تعرف المربية الخلفية النظرية لمشروع ما، فإنها تستطيع أن تكيف عملها بشكل مرن، وأن تمارسه بشكل مبدع. فحتى تقوم المربية بإضافة تجربتها الشخصية داخل التطبيق المهني، وتستفيد من تجربتها اليومية في الحقل، التي تتأثر بعوامل عدة وديناميكية دائمة، وهذا ضروري لأن عدم معرفة المربية للنظرية المعرفية يجعلها تقتبس الفكرة وتنفذها بشكل ميكانيكي ودون قدرة على التغيير فيها وفقا للظروف. أما حين تعرف المربية النظرية، وتعرف الآليات والمواد المتاحة أمامها، تستطيع أن تكون مبدعة خلاقة. فتستطيع استخدام أساليب الوساطة والتخطيط الجيد لتحفيز الأطفال على الحديث وكتابة خبراتهم وابتكار مصطلحات.

الإشكاليات التي واجهتنا

ثمة مجموعة إشكاليات واجهتنا في بداية العمل، منها ضعف اللغة الفصحى لدى المربيات (والجميع) بشكل عام. عدم ترسّخ نهج التعلّم الفعّال لدى المربين والمربيات ويرافق ذلك رغبة/ ضرورة لتعليم مفاهيم، وإكساب الطفل معلومات. لذا، شمل التدريب مراجعة لقواعد اللغة العربية إضافة لـ «تخطيط» أنشطة تعتمد الحوار والبناء على خبرات الأطفال، وذلك من خلال البرنامج اليومي الذي تعتمده المربيات. وكذلك تحويل قصة شعبية للفصحى وتحويل الفصحى للعامية.

تنظيم البيئة التربوية

على المربية تنظيم البيئة التربوية وإغناؤها بمثيرات لغوية كي يتعرض الطفل للغة خلال جميع الفعاليات وفي جميع الأماكن: ككتابة أسماء الأشياء: باب، شباك، طاولة، مكعّب . . . وإضافة صور وكلمات كجزء من العروض الجدارية. ومن جهة أخرى، استثارة الأطفال ولفت نظرهم إليها وقراءتها ضمن سياق الحوارات والأنشطة.

اللغة في كل مكان

بما أن اللغة الفصحى يجب أن تكون نهج عمل وحياة، من الضروري استخدامها بشكل دائم، ويشمل ذلك غناءها والتندر بها ووصف المشاعر وما يقوم به الأطفال وغير ذلك، إلا أن هناك رأياً يقول إنه يكفي استخدامها في أنشطة معينة، ولذا فقد تم استخدام التوجهين. ولاحقاً سوف نرى نماذج من أنشطة مختلفة.

نماذج عملية

علوم: مراقبة تطور دودة القز

- شاهد الأطفال في زاوية الطبيعة دودة القز التي تشرنقت، وآن وقت خروجها لتصبح فراشة.
- تحدثت المربية عن الفعالية: سوف نحاول أن نتذكر مراحل تطور دودة القز إلى فراشة. هل تذكرون ما شاهدناه سويًا؟ هاي الصور إللي صورناها.
- لقد استعملت المربية سهواً جملة بالعامية، فقال أحد الأطفال: «خَربَطت لِمعَلّمِه» وهذا يدل على وعي الأطفال للغة الفصحى.

علوم: يطفو، يرسب، يذوب، لا يذوب، يتبخّر

اللعب في الساحة مع أدوات متنوعة

- ملاحظة: تدَخُّل المربية هنا غير مبني. إنما هو تدخُّل مبادر حسب الحالة للتحاور مع الأطفال باللغة الفصحى وإثرائهم في بيئة مفتوحة.

فعاليات حركية: فوق تحت، أعلى أسفل

نماذج فعاليات

لُغة- فعالية قرائية: يبحث الأطفال عن كلمات تبدأ بحرف معين

نموذج قصة تم تداولها

أسلوب تداول القصة:

- معالجة النص لغوياً: أماكن سكن الحيوانات، الخروف، الفراشة، السمكة.
- الألوان في القصة: الأخضر، الأحمر، الأصفر، الأزرق، الأبيض.
- المرادفات لكلمات وردت في القصة: المرعى، الأزهار، الأصدقاء، العشب، نمرح، مسرور، أسكن، اليابسة . . . .
- المناقضات لكلمات وردت في القصة: يعيش، خرج، سأل، فوق، كبير، اختنق. . . .
- استعمال النص كأداة لتطوير الفصحى: تقرأ المربية القصة بالفصحى أكثر من مرة. بعد القراءة الأولى وفي القراءات اللاحقة، تجري المربية حواراً مع الأطفال حول القصة باللغة الفصحى.

هناك العديد من المهمات المقترحة:

- تحويل بعض الأفعال من المذكر إلى المؤنث في الماضي: خرج، أجاب، قال، سأل، سمع، عاد. . . ، وتحويل بعض الأسماء من المفرد إلى المثنى والجمع: خروف، فراشة، سمكة، يوم، صديق.
- البحث عن الأسماء في القصة: تصنيف الأسماء: أسماء حيوانات، أسماء أماكن، أسماء ألوان . . . .
- البحث عن الصفات: الذهبية، الصغير، ملون، غريب . . . .
- البحث عن الكلمات التي تعبر عن زمن.
- البحث عن الأفعال في القصة: تصنيف الأفعال إلى ماضية ومضارعة.

حوار حول القصة:

ويتبع ذلك سلسلة من الأسئلة الممكنة مثل: ما هو لون الأزهار في القصة؟ ما هي ألوان الفراشة؟ ماذا كنت تفعل لو كنت مكان الفراشة؟ ماذا كنت تطلب من السمكة لو كنت مكان الخروف؟ ماذا كنت تقول للخروف لو كنت مكان السمكة؟ ما هو رأيك في تصرُّف الخروف؟ أين تحب أن تلعب أنت؟

اقتراحات للمربية حول أسئلة ممكنة أخرى:

بماذا تحب أن تلعب؟ ما هو لونُك المفضل؟ أين تسكن/ تعيش؟ ماذا كنت تفعل لو عشت مكان الفراشة في الجو؟ ماذا كنت تفعل لو عشت مكان السمكة في الماء؟ صورة معبِّرة من صور القصة، يتحدث الأطفال عما يرونه في الصورة. مناقشة موضوع القصة والهدف منه. يقرأ أحد الأطفال القصة بلغته بالاستعانة بصور القصة. يستمع الأطفال إلى القصة مسجّلة على شريط كاسيت. يروي الأطفال القصة لذويهم في البيت، وهؤلاء بدورهم يكتبونها لهم. استخدام القصة خلال فعاليات حول: (باللغة الفصحى) فصول السنة، المرعى، الخروف وطريقة عيشه، الفراشة في الجو، السمكة، الماء، الأنهار والبحار، مسكن الإنسان، المبنى الكوني: بري، مائي، جوي. الحواس: الشم، السمع، الذوق، النظر، الإحساس.

أنشطة عبر القصة: مناقشة مفهوم الصداقة، حوار بين شخصيات القصة، وضع شخصيات القصة في زاوية المسرح ويتدرب الأطفال على روايتها أو يستمعون إليها من المربية، يستمع الأطفال إلى القصة مع مشاهدة التلفزيون.

أنشطة عبر الحركة والتمثيل:

القصة مليئة بالحركة: سير الحبكة وحركة الشخصيات، يمثل الأطفال القصة بأجسادهم، تمثيل حركات وتوضيح إيماءات مثلاً: خرج الخروف إلى المرعى، الفراشة تطير في الجو، السمكة تسبح في الماء.

أطفال يقلّدون الخروف

أطفال يطيرون

سهيل العمري
جمعية النساء العكيات – مركز تربوي – عكا